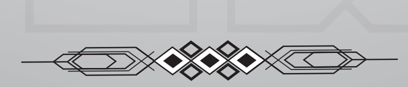




بردة المديح

من تأليف رائد المدائح النبوية، شرف الدِّين محمَّد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي البوصيريّ -رحمه اللَّه



من منشورات دار التراث البوديلمي©
http://www.sufisofalgeria.org



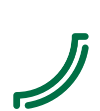




من تأليف رائد المدائح النبوية، شرف الدِّين محمَّد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي البوصيريّ -رحمه اللَّه



من منشورات دار التراث البوديلمي©
http://www.sufisofalgeria.org





تمهيد

الحمد للَّه الذي أكرمنا و فضلنا على سائر الأمم بأكرم الخلق عليه، سيدنا محمَّد ﷺ. اللهم صل و سلم عليه وعلى آله و أصحابه و أنصاره و أهل محبته من أولياء أمته و من سار على دربهم القويم. آمين.

أما بعد، يشرف «دار التراث البوديلمي©» أن تقدم للقارئ الكريم و لكل العاشقين لحضرة البهاء و النور، قمر الهداية و كوكب العناية الربانية، رسول ربّ العالمين عليه الصلاة و أفضل التسليم، قصيدة «البردة» الرائعة المشهورة في كل أقطار المسلمين.

يقول الأستاذ سمير حلبي[1] :-

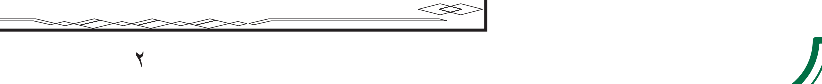
«اشتهر الإمام «شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري» بمدائحه النبوية، التي ذاعت شهرتها في الآفاق، وتميزت بروحها العذبة وعاطفتها الصادقة، وروعة معانيها، وجمال تصويرها، ودقة ألفاظها، وحسن سبكها، وبراعة نظمها؛ فكانت بحق مدرسة لشعراء المدائح النبوية من بعده، ومثالا يحتذيه الشعراء لينسجوا على منواله، ويسيروا على نهجه؛ فظهرت قصائد عديدة في فن المدائح النبوية، أمتعت عقل ووجدان ملايين المسلمين على مرّ العصور، ولكنها كانت دائمًا تشهد بريادة الإمام البوصيري وأستاذيته لهذا الفن بلا منازع.

أصول البوصيري ونشأته

ولد البوصيري بقرية «دلاص» إحدى قرى بني سويف من صعيد مصر، في (أول شوال ٦٠٨هـ = ٧ من مارس ١٢١٣م) لأسرة ترجع جذورها إلى قبيلة «صنهاجة» إحدى قبائل البربر، التي استوطنت الصحراء جنوبي المغرب الأقصى، ونشأ بقرية «بوصير» القريبة من مسقط رأسه، ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة حيث تلقى علوم العربية والأدب.

وقد تلقى البوصيري العلم منذ نعومة أظفاره؛ فحفظ القرآن في طفولته، وتتلمذ على عدد من أعلام عصره، كما تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء المعروفين، منهم: أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، وفتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد العمري الأندلسي الإشبيلي المصري، المعروف بابن سيد الناس... وغيرهما.

[1] راجع صفحة الإنترنت: http://www.islamonline.net/Arabic/History



شاعرية البوصيري

ونظم البوصيري الشعر منذ حداثة سنه وله قصائد كثيرة، ويمتاز شعره بالرصانة والجزالة، وجمال التعبير، والحس المرهف، وقوة العاطفة، واشتهر بمدائحه النبوية التي أجاد استعمال البديع فيها، كما برع في استخدام البيان، ولكن غلبت عليه المحسنات البديعية في غير تكلف؛ وهو ما أكسب شعره ومدائحه قوة ورصانة وشاعرية متميزة لم تتوفر لكثير ممن خاضوا غمار المدائح النبوية والشعر الصوفي.

وقد جارى البوصيري في كثير من شعره شعراء عصره في استعمال الألفاظ المولدة، كما كانت له تجارب عديدة في الأهاجي المقذعة، ولكنه مال –بعد ذلك– إلى النُسْك وحياة الزهد، واتجه إلى شعر المدائح النبوية. وتعد قصيدته «البردة» من أعظم المدائح النبوية، وقد أجمع النقاد والشعراء على أنها أفضل المدائح النبوية بعد قصيدة «كعب بن زهير» الشهيرة «بانت سعاد». وله أيضا القصيدة «الهمزية» في مدح النبي ﷺ، وهي لا تقل فصاحة وجودة عن بردته الشهيرة، ومطلعها:

كيف ترقى رُقيَّك الأنبياءُ
يَا سماءً ما طاولتها سماءُ

لم يُساووك في علاك وقد حال
سنًى منك دونهم وسناءُ

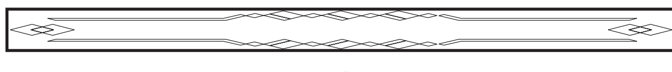
البوصيري رائد فن المدائح

عُني البوصيري بقراءة السيرة النبوية، ومعرفة دقائق أخبار النبي ﷺ وجوامع سيرته العطرة، وأفرغ طاقته وأوقف شعره وفنه على مدح النبي ﷺ، وكان من ثمار مدائحه النبوية (بائياته الثلاث)، التي بدأ إحداها بلمحات تفيض عذوبة ورقة استهلها:

وافاكَ بالذنب العظيم المذنبُ
خجلا يُعنف نفسَه ويُؤنَبُ

ويستهل الثانية بقوله:

بمدح المصطفى تحيا القلوبُ
وتُغتفرُ الخطايا والذنوبُ





وله –أيضا– عدد آخر من المدائح النبوية الجيدة، من أروعها قصيدته «الحائية»، التي يقول فيها مناجيا الله عز وجل:

يا مــن خــزائن ملكه ممــلوءة
كــرمًا وبــابُ عــطائه مفتوح

ندعوك عــن فقر إليك وحاجــة
ومجــال فضلك للــعباد فسيح

وقصيدته «الدالية» التي يبدؤها بقوله:

إلهي على كــل الأمور لك الحمد
فليس لــما أوليتَ مــن نعمٍ حدُّ

لك الأمر من قبل الزمــان وبعده
ومــا لك قبل كــالزمان ولا بعدُ

وحكمُك ماض في الخــلائق نافذ
إذا شئتَ أمرًا ليس مــن كونه بُدُّ

بردة البوصيري.. درة المدائح

وتُعد قصيدته الشهيرة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، والمعروفة باسم «البــردة» من عيون الشعر العربي، ومن أروع قصائد المدائح النبوية، ودرة ديوان شعر المديح في الإسلام، الذي جادت به قرائح الشعراء على مرّ العصور، ومطلعها مــن أبرع مطالع القصائد العربية.

وقد ظلت تلك القصيدة مصدر إلهام للشعراء على مر العصور، يحذون حذوها وينسجون على منوالها، وينهجون نهجها.

آثار البوصيري الشعرية والنثرية

ترك البوصيري عددًا كبيرًا من القصائد والأشعار ضمّها ديوانه الشعري الذي حققه «محمد سيــد كيلاني»، وطُبع بالقاهرة





سنة (١٣٧٤ هـ= ١٩٥٥م)، وقصيدته الشهيرة البردة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، والقصيدة «المضرية في مدح خير البرية»، والقصيدة «الخمرية»، وقصيدة «ذخر المعاد»، ولامية في الـرد على اليـهود والنصارى بعنوان: «المخـرج والمردود على النصارى واليهود»، وقد نشرها الشيخ «أحمد فهمي محمد» بالقاهرة سنة (١٣٧٢ هـ= ١٩٥٣م)، وله أيضا «تهذيب الألفاظ العامية»، و قد طبع كذلك بالقاهرة.

وتُوفَي الإمام البوصيري بالإسكندرية سنة (٦٩٥ هـ= ١٢٩٥م) عن عمر بلغ ٨٧ عامًا .

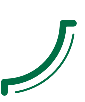
أهم مصادر الدراسة:

**حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – (١٣٨٧هـ=١٩٦٧م) .

**شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي – دار إحياء التراث العربي – القاهرة – بدون تاريخ .

**فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي – تحقيق إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – (١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م) .

انتهى بتصرف



بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنشِي الخَلقِ مِنْ عَدَمِ ... ثُمَّ الصَّلاةُ عَلى المُخْتَارِ فِي الْقِدَمِ

مَوْلاَيَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا ... عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِمِ

﴿الفَصلُ الأوَّلُ﴾

في ذكر عشق رسول الله ﷺ

أمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ ... مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

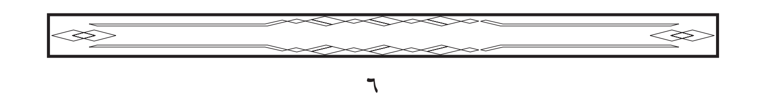
أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ ... أوْ أوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إضَمِ

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا ... وَمَا لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ... مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ ... وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدَتْ ... بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ



يَا لَائِمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ... مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ ... عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ

مَحَضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِي ... وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

الْفَصْلُ الثَّانِي
فِي مَنْعِ هَوَى النَّفْسِ

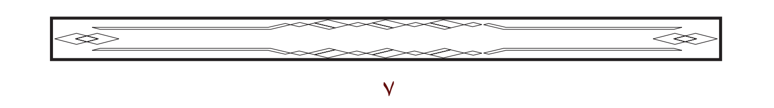
فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ ... مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى ... ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ ... كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا ... كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ

فَلَا تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا ... إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ



وَالنَّفسُ كالطِّفلِ إنْ تُهمِلهُ شَبَّ على ... حُبِّ الرِّضاعِ وَإنْ تَفطِمهُ يَنفَطِمِ

فَاصرِفْ هَواها وَحاذِرْ أنْ تُوَلِّيَهُ ... إنَّ الهَوى ما تَوَلَّى يُصْمِ أوْ يَصِمِ

وَراعِها وَهيَ في الأعمالِ سائِمَةٌ ... وَإنْ هيَ استَحلَتِ المَرعى فلا تُسِمِ

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلمَرءِ قاتِلَةً ... مِنْ حَيثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ

وَاخْشَ الدَّسائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ ... فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

وَاستَفرِغِ الدَّمعَ مِنْ عَينٍ قَدِ امتَلأتْ ... مِنَ المَحارِمِ وَالزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

وَخالِفِ النَّفسَ وَالشَّيطانَ وَاعصِهِما ... وَإنْ هُما مَحَضاكَ النُّصحَ فاتَّهِمِ

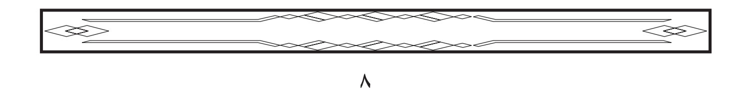
وَلا تُطِعْ مِنهُما خَصْمًا وَلا حَكَمًا ... فَأنتَ تَعرِفُ كَيدَ الخَصمِ وَالحَكَمِ

أستَغفِرُ اللهَ مِنْ قَولٍ بِلا عَمَلٍ ... لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذي عُقُمِ

أمَرْتُكَ الخَيرَ لكِنْ ما ائتَمَرتُ بِهِ ... وَما استَقَمتُ فَما قَولي لَكَ استَقِمِ

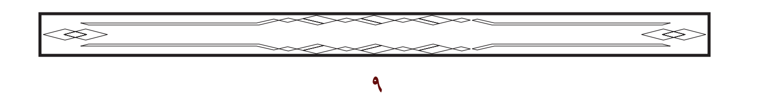
وَلا تَزَوَّدتُ قَبلَ المَوتِ نافِلَةً ... وَلَمْ أُصَلِّ سِوى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ





﴿الفَصلُ الثَّالِثُ﴾
في مَدحِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ

ظَـلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ احـيَ الظَّـلامَ اِلى ... اِنِ اشتَكَت قدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ
وَ شَدَّ مِنْ سَغَبٍ اَحشاءَهُ وَ طوى ... تَحتَ الحـجارةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الادَمِ
وَ راوَدَتْهُ الجِبالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ... عَـنْ نَفسِهِ فَاَراهَا اَيَّـما شَمَـمِ
وَاَكَّدَت زُهـدَهُ فـيها ضَرُورتُهُ ... اِنَّ الضَّرُورةَ لاتَعـدُو عَنِ العِصَمِ
وَكَيفَ تَدْعو إلَى الدُّنيَا ضَرورَةُ مَنْ ... لَولاهُ لَمْ تَخرُجِ الدُّنْيَا مِنَ العَـدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَـونَينِ وَ الثَّـقلين ... وَ الفَريقَينِ مِنْ عُـرْبٍ وَ مِـنْ عَجَمِ
نَبِيُّنا الآمِـرُ النَّاهي فَـلا أَحَـدٌ ... اَبَـرَّ في قَـولِ لا مِنْهُ وَ لا نَـعَـمِ
هُوَ الحَبيبُ الَّذي تُرجَى شَفاعَتُهُ ... لِكُلِ هَـوْلٍ مِـنَ الاَهوالِ مُقتَحَمِ
دَعـا اِلَى اللّٰهِ فَالمُستَمسِكُونَ بِـهِ ... مُستَمسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيرِ مُنفَصِمِ
فَاقَ النَّبِيّينَ فِي خَلـقٍ وَ فِي خُلُقٍ ... وَّ لَـمْ يُـدانُوهُ فِي عِـلمٍ وَ لاكَـرَمِ



وَ كُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وَ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ ... مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَ صُورَتُهُ ... ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ ... فَجَوهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمِ ... وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ

وَ انْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ... وَ انْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

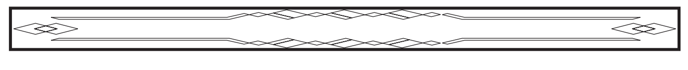
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ ... حَدٌّ فَيُعْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً ... أَحْيَى اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَى العُقُولُ بِهِ ... حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَ لَمْ نَهِمِ

أَعْيَى الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى ... لِلْقُرْبِ وَ البُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَ تُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ



وَكَيفَ يُدرِكُ فِي الدُّنيَا حَقِيقَتَهُ   قَومٌ نِيَامٌ تَسَلَّوا عَنهُ بِالحُلُمِ

فَمَبلَغُ العِلمِ فِيهِ أنَّهُ بَشَرٌ   وَأَنَّهُ خَيرُ خَلقِ اللَّهِ كُلِّهِمِ

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسلُ الكِرَامُ بِهَا   فَإنَّمَا اتَّصَلَت مِن نُورِهِ بِهِمِ

فَإنَّهُ شَمسُ فَضلٍ هُم كَوَاكِبُهَا   يُظهِرنَ أَنوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

حَتَّى إِذَا طَلَعَت فِي الكَونِ عَمَّ هُدَاهَا   العَالَمِينَ وَأَحيَت سَائِرَ الأُمَمِ

أَكرِم بِخَلقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ   بِالحُسنِ مُشتَمِلٍ بِالبِشرِ مُتَّسِمِ

كَالزَّهرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدرِ فِي شَرَفٍ   وَالبَحرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهرِ فِي هِمَمِ

كَأَنَّهُ وَهُوَ فَردٌ فِي جَلَالَتِهِ   فِي عَسكَرٍ حِينَ تَلقَاهُ وَفِي حَشَمِ

كَأَنَّمَا اللُّؤلُؤُ المَكنُونُ فِي صَدَفٍ   مِن مَعدِنَي مَنطِقٍ مِنهُ وَمُبتَسَمِ

لَا طِيبَ يَعدِلُ تُربًا ضَمَّ أَعظُمَهُ   طُوبَى لِمُنتَشِقٍ مِنهُ وَمُلتَثِمِ





الفصل الرابع
في مولد النبي ﷺ

أبانَ مَولِدُهُ عَن طِيبِ عُنصُرِهِ — يا طِيبَ مُبتَدَءٍ مِنهُ وَ مُختَتَمِ

يَومٌ تَفَرَّسَ فيهِ الفُرسُ أنَّهُمُ — قَد أُنذِروا بِحُلولِ البُؤسِ وَ النِّقَمِ

وَ باتَ إيوانُ كِسرَى وَ هُوَ مُنصَدِعٌ — كَشَملِ أصحابِ كِسرَى غَيرَ مُلتَئِمِ

وَ النّارُ خامِدَةُ الأنفاسِ مِن أسَفٍ — عَلَيهِ وَ النَّهرُ ساهِي العَينِ مِن سَدَمِ

وَ سآءَ ساوَةَ أن غاضَت بُحَيرَتُها — وَ رُدَّ وارِدُها بِالغَيظِ حينَ ظَمِ

كَأنَّ بِالنّارِ ما بِالمآءِ مِن بَلَلٍ — حُزناً وَ بِالمآءِ ما بِالنّارِ مِن ضَرَمِ

وَ الجِنُّ تَهتِفُ وَ الأنوارُ ساطِعَةٌ — وَ الحَقُّ يَظهَرُ مِن مَعنًى وَ مِن كَلِمِ

عَمُوا وَ صَمُّوا فَإعلانُ البَشآئِرِ لَم — تُسمَع وَ بارِقَةُ الإنذارِ لَم تُشَمِ

مِن بَعدِ ما أخبَرَ الأقوامَ كاهِنُهُم — بِأنَّ دينَهُمُ المُعوَجَّ لَم يَقُمِ

وَ بَعدَ ما عايَنوا في الأُفقِ مِن شُهُبٍ — مُنقَضَّةٍ وَفقَ ما في الأرضِ مِن صَنَمِ

حَتّى غدَا عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ ... مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُوا اِثْرَ مُنهَزِمِ

كَاَنَّهُمْ هَرَبًا اَبْطَالُ اَبْرَهَةٍ ... اَوْ عَسْكَرٌ بِالحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي

نَبْذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا ... نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ اَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ



الفَصْلُ الخَامِسُ

في مُعْجِزاتِه ﷺ

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الاَشْجَارُ سَاجِدَةً ... تَمْشِي اِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ

كَاَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ ... فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ

مِثْلَ الغَمَامَةِ اَنّى سَارَ سَائِرَةً ... تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

اَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ اِنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ

وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ ... وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

فَالصِّدْقُ فِي الغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا ... وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالغَارِ مِنْ اَرِمِ

ظَنُّوا الحَمامَ وَظَنُّوا العَنكَبُوتَ علی ... خَيرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

وِقايَةُ اللَّهِ اَغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ ... مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الاُطُمِ

مَا سَامَنِي الدَّهرُ ضَيماً واَستَجرتُ بِهِ ... اِلاَّ وَنِلتُ جِوَاراً مِنهُ لَمْ يُضَمِ

وَلاَ التَمَستُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِن يَدِهِ ... اِلاَّ اسْتَلَمتُ النَّدَى مِن خَيرِ مُسْتَلَمِ

لاَ تُنكِرِ الوَحيَ مِن رُؤيَاهُ اِنَّ لَهُ ... قَلبًا اِذَا نَامَتِ العَينَانِ لَمْ يَنَمِ

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِن نُبُوَّتِهِ ... فَلَيسَ يُنكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ ... وَلاَ نَبِيٌّ عَلَى غَيبٍ بِمُتَّهَمِ

اَيَاتُهُ الغُرُّ لاَ يَخْفَى عَلَى اَحَدٍ ... بِدُونِهَا العَدلُ بَيْنَ النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

كَمْ اَبْرَأَتْ وَصِباً بِاللَّمسِ رَاحَتُهُ ... وَاَطلَقَتْ اَرِبًا مِّن رِّبقَةِ اللَّمَمِ

وَاَحيَتِ السَّنَةَ الشَّهبَاءَ دَعْوَتُهُ ... حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الاَعْصُرِ الدُّهُمِ

بِعَارِضٍ جَادَ اَوْ خِلتَ البِطَاحَ بِهَا ... سَيْبًا مِّنَ اليَمِّ اَوْ سَيْلاً مِنَ العَرِمِ





الفَصلُ السَّادِسُ

فِي ذِكْرِ شَرَفِ القُرآنِ

دَعنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ... ظُهُورَ نَارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ

فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهُوَ مُنْتَظِمٌ ... وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ

فَمَا تَطَاوَلَ آمَالُ المَدِيحِ إلَى ... مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحمنِ مُحْدَثَةٌ ... قَدِيمَةٌ صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقِدَمِ

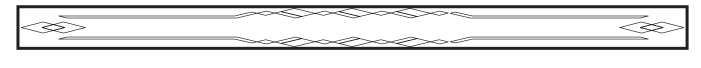
لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخبِرُنَا ... عَنِ المَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إرَمِ

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعجِزَةٍ ... مِنَ النَّبِيِّينَ إذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ ... لِذِي شِقَاقٍ وَلاَ يَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إلاَّ عَادَ مِنْ حَرَبٍ ... أَعْدَى الأَعَادِي إلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا ... رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحَرَمِ



لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ ... وَ فَوقَ جَوهَرِهِ فِي الحُسنِ وَالقِيَمِ

فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحصَى عَجَآئِبُهَا ... وَلَا تُسَامُ عَلَى الاِكْثَارِ بِالسَّأمِ

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلتُ لَهُ ... لَقَدْ ظَفِرتَ بِحَبلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمِ

اِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى ... اَطْفَأتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

كَأَنَّهَا الحَوضُ تَبيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ ... مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالحُمَمِ

وَكَصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً ... فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

لَا تَعْجَبَنَّ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا ... تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ

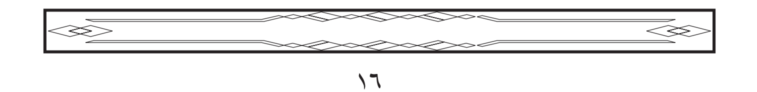
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ... وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ



﴿الفَصلُ السَّابِعُ﴾

فِي ذِكرِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ ﷺ

يَا خَيرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ ... سَعياً وَفَوقَ مُتُونِ الاَيْنُقِ الرُّسُمِ



وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبرى لِمعتَبِرٍ ... وَمَنْ هُوَ النِّعمَةُ العُظمى لِمُغتَنِمِ

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً اِلى حَرَمٍ ... كَمَا سَرى البَدرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَبِتَّ تَرقى اِلى اَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً ... مِنْ قَابَ قَوسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

وَقَدَّمَتْكَ جَميعُ الاَنْبِيَاءِ بِهَا ... وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخدُومٍ عَلى خَدَمِ

وَاَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ ... في مَوكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ

حَتّى اِذَا لَمْ تَدَعْ شَأواً لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ الدُّنُوِّ وَلا مَرقىً لِمُسْتَنِمِ

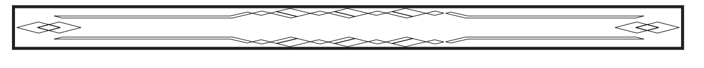
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالاِضَافَةِ اِذْ ... نُودِيتَ بِالرَّفعِ مِثْلَ المُفرَدِ العَلَمِ

كَيمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ اَيِّ مُسْتَتِرٍ ... عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ اَيِّ مُسْتَتِرِ

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيرَ مُشْتَرَكٍ ... وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيرَ مُزْدَحَمِ

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ... وَعَزَّ اِدْرَاكُ مَا اُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

بُشْرى لَنَا مَعْشَرَ الاِسلامِ اِنَّ لَنَا ... مِنَ العِنَايَةِ رُكْناً غَيرَ مُنْهَدِمِ



لَمّا دَعَا اللَّهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ ... بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ



﴿الفَصلُ الثَّامِنُ﴾

فِي ذِكْرِ جِهَادِ النَّبِيِّ ﷺ

رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ ... كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِّنَ الغَنَمِ

مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... حَتَّى حَكَوْا بِالقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

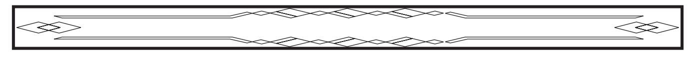
وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ ... أَشْلاءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبَانِ وَ الرُّخَمِ

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا ... مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ... بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَى قَرِمِ

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ ... يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ



حَتّى غدَتْ مِلّةُ الاسْلامِ وَهِيَ بِهِمْ — مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرّحِمِ

مَكْفُولَةً اَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ ابٍ — وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا اَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ — كَنَبْاَةٍ اَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الْغَنَمِ

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مَصَادِمَهُمْ — مَاذَا رَاٰى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

فَسَلْ حُنَيناً وَسَلْ بَدراً وَسَلْ اُحُداً — فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ اَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

الْمُصْدِرِي الْبِيضِ حُمْراً بَعدَمَا وَرَدَتْ — مِنَ الْعِدَى كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

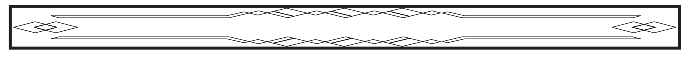
وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ — اَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

شَاكِي السِّلاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ — وَالوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا عَنِ السَّلَمِ

يُهْدِي اِلَيْكَ رِيَاحَ النَّصْرِ نَشْرُهُمْ — فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الاَكْمَامِ كُلَّ كَمِ

كَاَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًا — مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لاَ مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ

طَارَتْ قُلُوبُ العِدَى مِنْ بَاْسِهِمْ فَرَقاً — فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ



وَ مَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ ... اِنْ تَلْقَهُ الاُسْدُ في اَجَامِهَا تَجِمِ

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ ... بِهِ وَ لاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ

اَحَلَّ اُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الاَشْبَالِ فِي اَجَمِ

كَمْ جَدَلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ ... فِيهِ وَ كَمْ خَصَمَ البُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

كَفاكَ بِالعِلْمِ فِي الاُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الجَاهِلِيَّةِ وَ التَّادِيبِ فِي اليُتُمِ

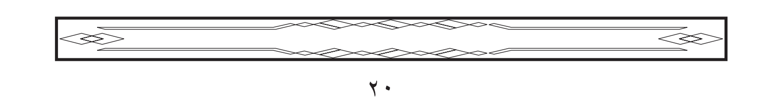
﴿الفَصْلُ التَّاسِعُ﴾

فِي طَلَبِ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ شَفَاعَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ اَسْتَقِيلُ بِهِ ... ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَ الخِدَمِ

اِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ ... كَاَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

اَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَ مَا ... حَصَّلْتُ اِلاَّ عَلَى الآثَامِ وَ النَّدَمِ



فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا ... لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ ... يَبِنْ لَهُ الغُبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النَّبِيِّ وَلاَ حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي ... مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِمَمِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

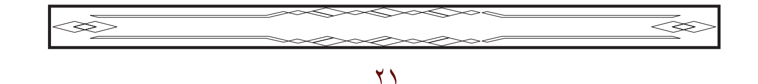
حَاشَاهُ أَنْ يُحْرَمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ ... أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ ... وَجَدْتُهُ لِخَلاَصِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ

وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرِبَتْ ... إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ ... يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ





﴿الفَصلُ العَاشِرُ﴾
فِي المُنَاجَاتِ وَعَرْضِ الحَاجَاتِ

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي ... إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ ... إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

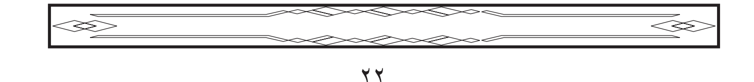
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا ... تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ ... لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ ... صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةً ... عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ ... أَهْلِ التُّقَى وَالنَّقَى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ



ثُمَّ الرِّضا عَنْ أَبي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرَ ... وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عُثْمانَ ذي الكَرَمِ

مَا رَنَّحَتْ عَذَباتِ الْبانِ رِيحُ صَبا ... وَأَطْرَبَ حادِيَ الْعيسِ بِالنَّغَمِ

يا رَبِّ بِالْمُصْطَفى بَلِّغْ مَقاصِدَنا ... وَاغْفِرْ لَنا ما مَضى يا واسِعَ الْكَرَمِ

وَاغْفِرْ إِلهِي لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ بِما ... يَتْلُونَ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصى وَفِي الحَرَمِ

بِجاهِ مَنْ بَيْتُهُ فِي طَيْبَةٍ حَرَمٌ ... وَاسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقَسَمِ

وَهذِهِ بُرْدَةُ الْمُخْتارِ قَدْ خُتِمَتْ ... وَالْحَمْدُ لِلّهِ فِي بَدْءٍ وَفِي خَتَمِ

أَبْياتُها قَدْ أَتَتْ سِتّينَ مَعْ مِائَةٍ ... فَرِّجْ بِها كَرْبَنا يا واسِعَ الْكَرَمِ





